جامعة منتوري – قسنطينة

مختبر الدراسات اللغوية

الرِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَةُ

مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة تصدر عن مختبر

العدد 006 السنة 1431هـ

2010م

الدّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَةُ

المدير الشرفي: أ.د عبد الحميد جكون رئيس الجامعة

مدير المجلة مسؤول النشر: أ.د يمينة بن مالك

رئيس التحرير: أ.د عبد الله بوخلخال

هيئة التحرير

أ.د يمينة بن مالك	**أ.د عبد الله بوخلخال**	**د.محي الدين سالم**
أ.د عزيز لعكايشي	**د.عثمان طيبة**	**أ.عبد السلام غجاتي**
	د. ابراهيم قلاتي	

الهيئة العلمية

أ. د يمينة بن مالك	**أ. د محمد كراكبي**	**أ. د حسن كاتب**
أ. د عبد الله بوخلخال	**أ. د بلقاسم ليباريز**	**أ. د السعيد هادف**
أ . رابح دوب	**أ. د الأخضر عيكوس**	**أ. د الربعي بن سلامة**
	د. إبراهيم قلاتي	

الدراسات اللغوية

مجلة لغوية محكمة تصدر عن مختبر الدراسات اللغوية

شروط النشر:

1- تبعث المقالات مطبوعة على جهاز الحاسوب مصحوبة بالقرص المرن.

2- أن يكون البحث جديدا ولم يسبق نشره.

3- لا تزيد صفحات البحث عن عشرين صفحة.

4- تخضع المواد المقدمة للنشر إلى تقييم علمي سري.

موضوعات العدد

تصدير 06

1. الاستشراق: اللغة من الوظيفة إلى التوظيفية. 07
أ.د حسين خمري

2. الرواية الجزائرية المعاصرة والتداخل اللغوي 25
أ.د رشيد قريبع

3. سمات الطفل الموهوب لغويا وطرائق تنميتها. 41
أ. زين الدين بن موسى

4. قراءة في قصيدة (حيزية) للشاعر أحمد بن قيطون. 73
أ. السعيد بحري

5. القراءات القرآنية والدرس اللغوي العربي
(جهود أبي عمرو بن العلاء ويعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي نموذجا) 93
أ. عبد السلام غجاتي

6. العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر. 123
أ.د عبد الله بو خلخال

7. قراءة الحسن البصري دراسة صوتية تحليلية 139
أ. عبد الوهاب شيباني

8. الحوار مع الآخر بين ثقافة الهامش وثقافة المركز في عصر العولمة. 165

أ.د عزيز العكايشي

9.نشاط القراءة في التعليم الأساسي الجزائري.
أ.د محمد كراكبي **185**

10. لغات الأسماء الموصولة في الفصيح من كلام العرب.
أ.د محمد مشري **207**

11.مبادئ النحو البنيوي، دراسة تطبيقية.
د. يحي بعيطش **233**

12. البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية.(بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي). **257**
د. يوسف وغليسي

7

قراءة الحسن البصري

– دراسة صوتية تحليلية –

أ.عبد الوهّاب شيباني

قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة منتوري قسنطينة

قراءة الحسن البصري

– دراسة صوتية تحليلية –

أ.عبد الوهّاب شيباني

قسم اللغة العربية وآدابها
جامعة منتوري قسنطينة

مقدّمة :

ظلّ "توجيه القراءات القرآنية" منثورا في كتب التفسير مدّة طويلة من الزّمن، ثم أخذ يستقلّ وينفصل رويدًا رويدًا، وإن كنّا لا ندري البدايات الحقيقية لذلك على وجه التحديد، ولكن لابدّ من القول: إنّ كتابي "معاني القرآن" للفرّاء (ت 207 هـ) و"معاني القرآن" للأخفش (ت 215 هـ) قد سجّلا لنا ما كان عليه أمر الاحتجاج في مفتتح القرن الثالث الهجري، حيث يستشفّ منهما أنّ معظم أصول علم "توجيه القراءات" قد تمّ وضعها.

وقد شهد هذا العلم وثبة نوعية في القرن الرّابع الهجري، وذلك بسبب القبول الاستثنائي الذي لقيه عمل ابن مجاهد شيخ قرّاء بغداد (ت 324 هـ) حين قام باختيار سبع قراءات لسبعة من المشاهير قرّاء الأمصار الإسلامية آنذاك، وضمنها كتابًا أسماه "السّبعة".

وجاء بعد ابن مجاهد أبو بكر بن السرّاج الذي وافته المنيّة قبل إتمام كتابه في توجيه القراءات القرآنية سنة 316 هـ.

ويجمع أهل الدراسات القرآنية واللّغوية على أنّ كتاب "الحجة للقرّاء السّبعة" لأبي عليّ الفارسيّ (ت 377 هـ) هو أوفى عمل في الاحتجاج، وان ذلك ضربًا من ضروب الوفاء لشيخه ابن مجاهد صاحب "السّبعة". كمّا أنه وجد في توجيه القراءات مجالا رحبًا لعرض ملكاته القياسية الفائقة، ومعرفته الواسعة بمجاري كلام العرب.

ويأتي بعد الفارسيّ تلميذه النجيب ابن جنيّ (ت392هـ) صاحب "الخصائص" و"المحتسب" و"سرّ صناعة العرب".

كما أتى تلميذ آخر من تلامذة ابن مجاهد وهو ابن خالويه (ت 370 هـ)، قد قام بالتعليل للقراءات السّبع في كتابه "الحجة في القراءات السّبع". ولم يفعل كذلك في كتابه الآخر "مختصر شواذّ القرآن".

وكان مكّي بن أبي طالب القيرواني (ت 437 هـ) اختصر كتاب الحجّة للفارسيّ، وسمّاه "منتخب الحجّة" ثمّ ألف كتابيه "التّبصرة في القراءات السّبع" و الكشف عن وجود القراءات السّبع و عللها و حججها".

وقد تلاه المهدوي (ت 440 هـ) صاحب "الهداية" وكذلك "شرح الهداية"، وقد ذكر الذّهبي أنّ للدّاني مائة وعشرين مصنّفا[1].

ويتعاقب المصنّفون في هذا الميدان في التّأليف، فهذا ابن الجزري (ت 833هـ) يضيف ثلاثة قرّاء إلى سبعة ابن مجاهد. وذاك البنا الدّمياطي يضيف أربعة آخرين على رأسهم قارئنا الحسن البصريّ.

وفي غمرة هذا العطاء التّرّ في توجيه القراءات ظهر العديد من قراءة الحسن البصري

يرى جمهور العلماء أنّ القراءة المقبولة هي التي تتوافر فيها الشروط الآتية:

1- موافقة القراءة للعربية و لو بوجه.
2- موافقتها لرسم أحد المصاحف العثمانية.
3- ثبوتها بالتواتر، أي بنقل جماعة من الموثقين ممن يؤمن تواطؤهم على الكذب، أو توافقهم على الخطأ.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أن الشرط الثالث أهم هذه الشروط جميعا، لأنه يعني أن القراءة المتواترة لا بد أن تكون موافقة للعربية، وموافقة لرسم أحد المصاحف العثمانية. فالتواتر أساس هذه الشروط، لأنه يتضمنها ويحتويها.

والتّواتر ــ فيما يرى العلماء ــ ليس متحقّقا إلا في القراءات العشر. وقد عدت القراءات التي بعد العشر غير متواترة، ولذلك ردوها، فمنعوا القراءة بها في الصلاة وخارجها، ولكنهم أجازوا تعلمها وتعليمها، وتدوينها في الكتب، وبيان وجهها من حيث اللغة والإعراب والمعنى.

وقراءة الحسن من القراءات الأربع التي بعد العشر، وهي لذلك من القراءات غير المتواترة.

وقد وردت في قراءة الحسن أبنية في اللغة من نحو: نـعجة وتـسعة وعسيتم وجأن وأدرأتم، لكن هذه الأبنية وسواها وجدت تخريجها في كتب اللّغويين وعزوها إلى لهجات العرب الفصيحة وإن لم تكن الفصحى.

والذي يظهر أنّ إدراج قراءة الحسن في الشواذّ عند ابن مجاهد أو عند غيره من المصنّفين ممّن تابعوه في اختياره يعود إلى قلة الشيُوخ الذين أخذ عنهم الحسن، فقد اقتصرت المصادر على ذكر اثنين فقط أخذ عنهما هما حطّان و أبو العالية الرياحي على حين بلغ عدد الذين أخذ عنهم بعض السّبعة أو غيرهم ما يزيد على السّبعين من التّابعين على نحو ما نقرأ في ترجمة نافع بن أبي نعيم أو جعفر المدني، فيكون شرط التّواتر الذي اشترطه العلماء لصحّة القراءة غير قائم في قراءة الحسن الذي كان يركن في قراءته إلى سليقة لغوية تعتمد والفصاحة العالية التي نعهدها في المتقدّمين من السّلف مثل أنس بن مالك و ابن مسعود وأبيّ و نحوهم...[2]

الدّراسة الصّوتية

في قراءة الحسن البصري ظواهر صوتية كثيرة، تمثل لهجة تميم التي ينتمي إليها تلميذه أبو عمرو. ولكنّ في هذه القراءة آثارًا لهجية أخرى، لأنها كسائر القراءات مبنية على الاختيار.

وقد اخترت الظّواهر الصوتية الآتية لدراستها: الهمز، والإدغام، والإمالة، ولوقف والإتباع والمغايرة الصوتية وهذا بيان ذلك:

أولا: الهمز:

لما كان الهمز يخرج من أقصى الحلق، وما يليه من أعلى الصّدر مُشبهًا للتهوّع[3] والسّلعة أوجب على أكثر الناطقين شبهة ومشقّة، فتصرّفت به العرب، واستعملته على ضربين: محقّقا ومخفّفا. وممّن عدل عن تحقيقه إلى تخفيفه في الأكثر أهل الحجاز فخففوه على أربعة أوجه[4]:

الأول الإبدال[5]، والثاني التّسهيل بين بين[6]، والثالث الحذف[7] من غير نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها، والرّابع الحذف مع نقل[8] حركته إلى السّكن قبله[9].

هذا وقد ورد في الكثير من كتب القراءات عناوين تتعلّق بالهمز كالهمز المفرد و اجتماع همزتين، ونقل حركة الهمزة على السّاكن قبلها، والوقف على الهمز، و تخفيف الهمز وأحكامه و علله وغيرها...[10]

1- لا يحقّق الهمزة:

ظاهرة تسهيل الهمزة في جملة مواضع من القرآن مظهر من مظاهر تأثر الحسن البصري بلهجة المدينة التي نشأ بها وإقليم الحجاز عامة، وقد رافقه هذا المظهر اللغوي حتى بعد نزوحه واستقراره في البصرة وسواد العراق. ومعلوم أنّ تسهيل الهمزة مظهر من مظاهر اللهجة الحجازية، على حين أن

تحقيقها خاصة من خصائص لهجات نجد وعموم القبائل البدوية، كما أنه مظهر من مظاهر العربية النموذجية التي كانت لغة للشعر والخطابة، وبها نزل القرآن و قرئت آياته[11].

ويظهر تأثّر الحسن بلهجة الحجاز في تسهيله الهمزة في أحرف من القرآن جاوزت خمسة وعشرين موضعا. أجتزئ بذكر بعض منها:

((فَيَتعلّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرْءِ وَ زَوْجِهِ)) [البقرة: 102]. قرأها بين المَرْ بحذف الهمزة و تشديد الراء، (المرّ).

وكذلك ((وَ اعْلَمَوا أَنّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَ قَلْبِهِ)) [الأنفال: 24]. وبها قرأ الزهري أيضا[12].

وفي السورة [الأنعام: 20] ((مْنْ سَوْآتِهِمَا)): قرأها ((سَوْاتِهِمَا)): بتشديد الواو[13]. وقرأ ((حِطْةُ نّغْفِرْ لَكُمْ خَطَيَكُمْ وسَنَزِيدُ المُحْسِنِينَ)) [البقرة:58]. بقلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء الأولى (خطيّاتكم) جمع خطيّة وقراءة السبعة: خطاياكم، تكسير خطيئة أو خطيّة. وكذلك (إلى باريكم).

وقرأ: ((لاَ يَأْكُلُهُ الخَـطِئُونَ)) [الحاقة: 37]. بتليين الهمزة وجعلها ياء (الخاطيون). وبها قرأ الزهري وموسى بن طلحة وقراءة الجماعة بتحقيق الهمز.

قال ابن جني: يحتمل هذا قولين: أحدهما أن يكون تخفيفا للهمز لانكسار ما قبلها. والآخر: أن يكون فد بقي من الهمز جزء ما على مذهب سيبويه، إلا أنه يلطف على القراءة، فيقولون بإخلاص الياء، ومعذورون فيه لغموضه.

وقرأ ((فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا)) [النساء: 4]. بقلب الهمزة ياء و إدغامها في ياء فعيل، (هنيًا مريًا)، وقراءة الجمهور (هنيئا مريئا)، بإثبات الهمزة.

2- يحقق الهمزة في غير المهموز:

ومما يتصل بظاهرة تسهيل الهمزة أو حذفها دون عوض في قراءة الحسن نقيضها، و هو همز غير المهموز أو تحقيق ما سهلت هزته.

وقد وردت عنه في ذلك كلمة "جأن"[14]، في الحجر والنّمل والقصص وفي الرحمان.

ويدخل تفسير هذه الظاهرة فيما يسمى بالتخلص من التقاء الساكنين عند القدماء أو الاستعاضة عن المقطع الطويل المقفل ذي المصوت الطويل بقطعتين صغيرتين. و قد ورد نظيره عن العرب في همز كلمة شأبة و دأبة ونحوهما.

و ورد عنه أيضا: لينبذأنّ- بالهمز وتشديد النّون المكسورة[15].

وذلك (ولترؤنّ[16]).

وقرأ أيضا (لـكِنْ هُوَ اللهُ رَبي) [الكهف: 38].(لكن أنا) بفصل لكن عن الضمير أنا.

ثانيا: الإدغام:

الإدغام من الوسائل التي تلجأ إليها العربية، إما اقتصادا في الجهد، و إما لإحداث نسق صوتي مثل(تسوى بهن الأرض). فأصل الفعل قبل الإدغام (تتسوى)، ثم حذفت فتحة التاء الثانية، فأصبحت (تتسوى)، ثم أدغمت التاء الثانية في السين، لفأصبح الفعل على هيأته هذه. وإما لتغيير البنى المقطعية للكلمة فإمّا أن يكون في كلمة واحدة، كما في (رد) التي أصلها (ردد)، فحذفت الفتحة التي بين الدالين، ثم أدغمتا، فبدلا من أن تكون الكلمة مكونة من ثلاث نقاطع هي: ر/د/د، فأصبحت مقطعين: رد/د. وإما العمل على الوصل.

أما الاقتصاد في الجهد العضلي، فذلك محور رئيس من محاور الإدغام، وهو الذي درسه النحاة، و خصّوه بالذكر في كتبهم.

تعريف الإدغام:

الإدغام اصطلاحا فمعناه أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف، فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد يرتفع اللّسان عنها رفعة واحدة شديدة[17]. والأصل فيه أن يكون الأول ساكنا[18].

الغرض من الإدغام:

والغرض منه التخفيف، قال الزّمحشري: "ثقل إلتقاء المتجانسين على ألسنتهم، فعمدوا بالإدغام إلى مضرب من الخفة"[19]. ويقابل الإدغام الإظهار في الحروف وهو الأصل لأنّه أكثر ولأنّ الواقف يضطرّ فيه إلى الإظهار ولاختلاف الحرفين، بينما الإدغام دخل لعلّة[20].

والإدغام عند المحدثين هو فناء الصّوت الأوّل في الصّوت الثاني، بحيث ينطق بالصّوتين صوتا واحدا كالثاني[21].

والإدغام ينقسم إلى قسمين اثنين هما:

إدغام كبير: وهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركًا، سواء أكانا مثلين، أم جنسين، أم متقاربين[22].

وإدغام صغير: وهم الذي يكون الأول منهما ساكنا، وهو ثلاثة أنواع: واجب وممتنع وجائز[23]. ولكلّ ذلك شروط وموانع؛ لا يمكن ذكرها كلّها، ويبدو أن ابن عطيّة كان من المفسرين المقلين في ذكر الإدغام عند استعراض القراءات القرآنية، ولعلّ ذلك لا يخدم كثيرا غايته من كتابه "المحرّر الوجيز" وهو تفسير للقرآن الكريم، والتفسير يهتم بالمعنى وما يخدم المعنى وما يتعلق به.

وهذه بعض صور الإدغام التي وردت بها قراءة الحسن، وبيان ذلك في الآتي:

ادغم الحسن الكاف في الكاف، بغض النظر عن أن المدغمة ضمير، وذلك كما في:

"فلا يحزنك كفره"، فقد قرأها الحسن: "فلا يحزنك كفره".

ولا شك في أن قراءة الحسن قد خالفت القراءات العشر في بعض وجوه الإدغام، غير أن هذه المسألة مما اتفق به الإدغام هنا، مع الإدغام في قراءة أبي عمرو بنا العلاء.

وممّا خالف فيه خالفت القراءات العشر إدغامه تاء المتكلم أو الخطاب في مثلها، و ذلك كما في (يا ليتني كنت ترابا)، و(أنت تحكم بين عبادك).

وأدغم الحسن النون في (أتحاجوننا)، و(فإنك بأعيننا).

وقرأ أيضا: (لا تضارر والدة بولدها) بدلا من: (لا تضار). وهذه لغة أهل الحجاز[24] .

كما أدغم في [الأعراف : 20] (يَخَصفَان) حيث قرأها (يَخْصِّفان)[25].

ثالثا الإمالة:

في الاصطلاح: الفتح هو فتح الصوت لا الحرف، والفتح هنا ضدّ الإمالة، وقد قدّم لأنه الأصل والإمالة فرع عنه، فكلّ ما يمال يجوز فتحه، وليس كلّ ما يفتح يجوز إمالته، لأن الإمالة لا تكون إلا لسبب من الأسباب[26] .

أمّا الإمالة من حيث اللّغة فقد ورد في لسان العرب: "الميل هو الانحراف والعدول عن الشيء أو الإقبال عليه"[27].

أمّا في الاصطلاح فقد ورد في كتاب سيبويه عبارات تعرف الإمالة منها:

(وإنّما أمالوها، يعني الألف، في "عابد وعالم" للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقرّبوها منها[28]). وفي المقتضب: "الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء[29]".

وقد عرّفها ابن الجزري بقوله: "والإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء، وهو المحض ويقال له: الإضجاع، ويقال له البطح، وربّما قيل له الكسر"[30].

وهو يريد بهذا النوع الإمالة الشديدة لأنّ الإمالة عنده درجات مختلفة.

والنوع الآخر وهو الإمالة المتوسّطة، وهي التي عنها بقوله و هو بين اللّفظين يقال له التّقليل و التّلطيف و بين بين[31].

و كلا النوعين جائز في القراءة جار في لغة العرب. والإمالة والفتح[32] لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة الحجاز، والإمالة لغة أهل نجد من تميم وأسد وقيس[33]، والإمالة من الأحرف السّبعة، ومن لحون العرب، وأصواتها، لأنّ لحونَها وأصواتَها مذاهبُها وطباعُها، فقد ثبت بها الخبر، وصحّت بها القراءة عن رسول الله[34].

القرّاء و الإمالة:

القرّاء من حيث الإمالة أقسام: منهم من لم يُمِلْ شيئًا وهو ابن كثير، ومنهم من أمال وهم قسمان:

1. مقلّ وهم: قالون وابن عامر وعاصم[35].
2. ومكثر وهم : ورش وأبو عمرو وحمزة والكسائي[36].

وقد ذكر الدّاني[37] ابن كثير في رواية البزيّ عنه أنه كان يقرأ الهاء و الياء مكسورة من قوله تعالى: (كهيعص)[38].

يقول صاحب "المبهج[39]" في معرض التّدليل على أصالة الفتح: "إنّ التّفخيم هو اللّغة القديمة السابقة، وإنّ الإمالة هي اللّغة الطارئة اللاّحقة".

ويرى مكّي بن أبي طالب القيسي أن الفتح أعمّ في كلام العرب و أكثر من الإمالة، فكلّ ممال يجوز فتحه، و ليس كلّ مفتوح تجوز إمالته [40]. أي أنّ الأصل ما عمّ وهو الفتح.

ويقول ابن الجزري: الفتح لغة الحجاز. "والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم و أسد و قيس. قاله الدّاني[41]"

ومن هذه التعريفات يتبيّن جليّا عزوف الحسن البصري عن الإمالة بكلّ أشكالها وأنواعها فهو يميل إلى الأصل وهو ما عمّ وهو الفتح.

أضف إلى ذلك فهو ليس من أهل نجد ولا من تميم ولا أسد ولا قيس. وهذا بخلاف تلميذه أبي عمرو البصري الذي تمسك راوياه ــ وعلى وجه خاص الدّوري– بالإمالة بنوعيها.

رابعا: الوقف:

الوقف اصطلاحًا: هو قطع الصوت آخر الكلمة زمنًا ما[42] يتنفّس فيه عادة بنية استئناف القراءة[43]. ويأتي في رؤوس الآي وأوساطها، ولا يأتي وسط الكلمة، ولا فيها اتّصل رسمًا ولا بدّ من التنفس معه[44].

وقد سمي الوقف وقفا لأنه ترك الحركة، وإنما كان الأصل فيه السّكون، لأنّ الوقف في الغالب يطلب الاستراحة والابتداء يقتضي الحركة[45]. وللتوقف في كلام العرب أوجه متعددة، والمستعمل منها عند أئمة القراءة تسعة وهو: السّكون، الرّوم، الإشمام، الإبدال، النّقل، الإدغام، الحذف، الإثبات، الإلحاق[46].

وقال الدّاني: "إنّ الكوفيّين وأبا عمرو البصري هم الذين وردت الرواية عنهم بالوقف على أواخر الكلمات بالإشارة لإلى الحركة سواء كانت إعرابًا أم بناءً بالرّوم و الإشمام[47]".

وقد قسّم ابن الجزري الوقف إلى أربعة أقسام كلّها تتعلّق بنواح نحوية، وهي على النحو الآتي [48]:

1– الوقف التام. 2. الوقف الكافي.

3- الوقف الحسن. 4- الوقف القبيح

لم أعثر فيما بين يدي من مصادر ومراجع قراءة الحسن البصري على نماذج للوقف كثيرة، لذلك أكتفي بمثالين اثنين:

المثال الأوّل:

وقف الحسن البصري على (راعنا) في [البقرة:104] راعنَا بالتّنوين[49].

المثال الثاني:

تفرّدت قراءة الحسن بتحريك الحرف الأخير من أسماء بعض الحروف المتقطعة التي تبتدئ بها سور من كتاب الله عَزّتْ أسماؤه، وجلت صفاته، فكان الحسن يقرأ: ياسين وصاد، وقاف ومع ذلك، قرأ:"طه" بتسكين الهاء. قالوا في توجيه هذه القراءة: طأ أراد: طأ الأرض بقدميك جميعا، لأن النبي صلى الله عليه و سلم كان يرفع إحدى رجليه في صلاته[50] .

خامسا : محاور صوتية مختلفة:

1- الإتباع الصّوتي:

الإتباع الصوتي تغيير صوتي يطرأ على كلمة لإحداث تناسب بينها وبين كلمة أخرى، وهو تغيير يطرأ على صوامت الكلمة طروءه على صوائتها. والإتباع الصوتي بهذا المعنى يتخذ أشكالا و صورا متعددة في العربية، منها

أنهم كانوا يستعملون كلمتين معا، و يغلب أن يكون الفرق بين الكلمتين في صوت واحد لتأكيد معنى الكلمة الأولى.

وتسمى هذه الظاهرة في علم النظم الصوتية بالثنائية الصغرى minimal pairs ، وذلك مثل قولهم: إنه لكثير،بثير، بذير، بجير.

والإتباع قسمان: صامت بصامت وحركة بحركة.

فأمّا مثال الأول، وهو إتباع صامت بصامت هو نصّ الحديث الشريف: "لو دخلوا ضب خرب لدخلتموه". فالأصل أن يكون الحديث الشريف على إيقاع: "لو دخلوا جحر ضب خربا" بإتباع كلمة "خربا" لكلمة "جحرَ" إتباعا إعرابيا.

وأما مثال الثاني، وهو إتباع حركة لحركة كثير الورود ذو سيرورة ملحوظة في قراءة الحسن البصري. وفي ما يأتي بعض معالم هذه الظاهرة في هذه القراءة:

أ- إتباع حركة الإعراب لحركة البناء:

قرأ الحسن: الحمدِ لله –بكسر الدّال واللام[51]، وفي ذلك تأثر رجعي: الصّائت القصير (الضّمة في الحمد) له وظيفة إعرابية ومع ذلك تأثر بالصّائت القصير الآخر في (كسرة لله) طلبًا لهذا الانسجام بين الأصوات.

ثمّ إنّ التّأثر بالإتباع ينسب إلى قبيلة أزد شنوءة. والتّأثر بالمخالفة ينسب إلى قبيلة عبد القيس. وهذه الظواهر كانت من خصائص اللهجات المنتشرة في البادية[52] .

وذهب فريق آخر إلى نسبة هذه القراءة إلى بني تميم، و إلى بعض بني غطفان[53] .

وقد زعم ابن جنيّ ـ رحمه الله ـ أنّ ضمّ اللام في (الحمدُ لله) أسهل من كسر الدال في (الحمدِ لله). إلاّ أنّ الدّكتور سمير شريف إستيتية خطّأه من الناحية الصوتية، يقول الدّكتور: "وذلك أن الدال وكسرتها، واللام وكسرتها، كلها أصوات أمامية، أي أن موضع نطقها، ومكان تشكلها، في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. وتسمى الأصوات الأمامية أصواتا منتشرة compact، لأن الحجرة رنينها في الجزء الخلفي من الحجرة الفموية. وأما الضمة فهي صوت خلفي ، لأن اللسان يرتد إلى الخلف عند نطقها، وتكون حجرة رنينها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية. ويسمى الصوت الذي هذا شأنه صوتا متضامنا diffuse.

فإذا علم هذا كله، تبين لنا أن التناسق الصوتي سيتم بدرجة أعلى، ويكون أسهل عندما نكسر الدال إتباعا لكسرة اللام. أما عندما تكون دال الحمد مضمونة، فسيكون نسق الأصوات على النحو التالي:

الدال (أمامي)+ الضمة (خلفية)+اللام (أمامية)+الضمة (خلفية).

إذن، فإن قراءة الحسن البصري أسهل من القراءة الثالثة، لا كما ادعى ابن جنيّ. ومع ذلك، فإن سهولة قراءة ما، لا يعني أفضليتها، وعدم سهولة قراءة أخرى، لا يعني عدم أفضليتها[54].

ب- صلة جمع الميم إتباعا:

إذا كانت ميم الجمع مسبوقة بكسر، فإنه يصلها بياء، ولذلك فقد قرأ: "صراط الذين أنعمت عليهمي غير المغضوب عليهمي"، وقرأ: "على قلوبهمي وسمعهمي، وعلى أبصارهمي". وكذلك: (بئسما يأمركم به): "يامركم به إيمانكم)[55]. ويسمّى هذا ايضا إشباعًا.

1- الإسكان:

كان أبو عمرو بن العلاء أكثر القرّاء تسكينا وهو من البصرة،فطبيعي جدا أن يكون ذلك كذلك من ميزات أستاذه الحسن البصري. فقد أسكن:

- **الشّين من "بشرًا" في قوله تعالى: "يرسل الرياح بشرًا = نُشْرًا" [البقرة: 57][56].**
- **(فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقُمَّلَ) = والقَمْل [البقرة:133][57].**
- **دُبُرَهُ: دُبْرَهُ. [الأنفال: 16][58].**
- **وكذلك: خُمْسَهُ و بالعَدْوَةِ و : برُسْلي و : سُبْلَ السلام و من النَّعْم و قُبْلاً و فنظْرة إلى ميسرة- بسكون الضّاء[59]**

1- تحريك الصّامت الحلقي:

وعلى خلاف ما مرّ فقد حرّك الحسن البصري السّاكن في مواقع عديدة منها:

(إلى يوم البعَث) و (فهذا يوم البعَث) [الروم: 56] بفتح العين فيهما [60].

والتفسير العلمي لهذه الظاهرة أنّ تحريك الصّوت الحلقي أخف من تسكينه: إذ إنّ كلّ أصوات الحلق بعد صدورها من مخرجها الحلقي تحتاج إلى اتساع مجراها بالفمّ، فليس هناك ما يعوق هذا المجرى في زوايا الفم، ولهذا ناسبها من أصوات اللّين أكثرها اتساعا، وتلك هي الفتحة[61].

2- الياءات:

ولا ينبغي أن ننسى فتح ياء المتكلم وكسرها في يعزى إلى الحسن من قراءات، فقد كان يميل غلى إسكان الياء كما فعل عند قراءته لقول المولى تبارك وتعالى في سورة [البقرة:122]، حيث قرأ: "اذكروا نعمتِي" بإسكان الياء "نعمتيْ"[62].

المراجع:

- **الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث: أد.عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2000.**
- **إدغام القرّاء: للسّيرافي. تحقيق محمد عليّ عبد الكريم الرّويني.**
- **الإمالة في القراءات واللهجات – للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي دار نهضة مصر للطبع و النشر، القاهرةن الطبعة الثانية 1391 هـ.**
- **البدّاية و النهاية: ابن كثير.**
- **بغية الوعاة في طبقة اللغويين و النحاة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق محمّد أبي الفضل إبراهيم . دار الفكر – طبعة 1979 م .**
- **تاريخ ابن الأثير .**
- **طبقات الزّبيدي.**
- **طاهرة الإبدال عند اللغويين والنحاة العرب:عبد الله بوخلخال، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2005.**
- **الظّواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: صاحب أبو جناح، دار الفكر، عمّان، الأردن، ط1، 1999.**
- **غاية النهاية في طبقات القرّاء: محمّد بن محمّد بن الجزري .**
- **الفهرست: ابن النّديم.**
- **القراءات الشاذة: لابن خالويه، تحقيق محمّد عيد الشّعباني.**
- **القراءات القرآنية، بين العربية والأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر: سمير شريف إستيتنية.**
- **القراءات القرآنية وأثرها في الدّراسات النّحوية: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، ط3 ، 1996.**

- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة،ط5 ، 1997 م.
- اللهجات العربية: إبراهيم أنيس.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية: عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعية للنشر و الطبع و التوزيع، د ت
- ما ذكره الكوفيون من الإدغام للسّيرافي، تحقيق صبيح التّميمي، دار الشهاب، باتنة، الجزائر.
- المبهج في القراءات السبع المتمّمة بابن محيصن والأعمش ويعقوب وخلف: سبط الخياط.
- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط1، 1419هـ – 1998 م.
- المحرّر الوجيز تحقيق : أبو محمّد عبد الحق بن عطية الغرناطي، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمّد – دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ط1، 1993 م.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالويه، دار الهجرة.
- مراتب النحويين.
- البدور الزهراء في القراءات العشر المتواترة من طرقي الشاطبية و الدرى قراءة نافع الإمام: عبد الفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1ط، 1407 هـ – 1981م.
- النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمّد بن محمّد بن الجزري، صححه و راجعه علي محمّد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت ن لبنان، د ت.
- معجم المصطلحات الصّوتية : أد.يمينة بن مالك، مخبر الدراسات اللغوية، جامعة منتوري قسنينة.

الهوامش:

([1]) تذكرة الحفاظ : 1121/3.

([2]) الظواهر اللّغوية في قراءة الحسن البصري:ص 29.

([3]) " التهوّع أي التقيّؤ" انظر: حجة القراءات لأبي زرعة:ص 84.

([4]) الكنز في القراءات العشر: ص 61، و انظر الكشف: 89/1.

([5]) الإبدال هو أن يبدّل حرف مدّ من جنس الحركة قبله، فيصير بعد الفتحة ألفا، و بعد الضمة واوا، و بعد الكسرة ياء. انظر الكنز في القراءات العشر: ص 61.

([6]) التسهيل بين بين، و هو أن يجعل بينه و بين ما منه حركته نحو:"أنشأكم"، و "رءوف"، انظر المرجع نفسه:ص 61.

([7]) الحذف من غير نقل حركة الهمزة إلى ما قبلها، نحو: هؤلاء إن، و شاء أنشره، انظر المرجع نفسه:ص 61.

([8]) الحذف مع نقل حركته إلى السّاكن قبله سواء أكان الساكن لام التعريف ك "الأرض" و"الأولى" أو غير ذلك من الحروف ما لم يكن حرف مدٍّ نحو: "ومن آمن" و"ابني آدم"، انظر المرجع نفسه: ص 61.

([9]) الكنز في القراءات العشر: ص 61. و انظر ظاهرة الإبدال عند اللغويين والنّحاة العرب:أد.عبد الله بوخلخال.

([10]) الكشف: 70/1 و ما بعدها، و النشر في القراءات العشر: 351/1 وما بعدها.

([11]) الظّواهر اللّغوية في قراءة الحسن البصري: ص 125.

([12]) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي: 510/2.

([13]) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي: 385/2.

([14]) المحتسب : 355/2.

([15]) البحر: 540/10.

([16]) ابن خالويه: 179. و المحتسب. 440/2 و هي فراءة أبي عمرو أيضا.

([17]) شرح المفصل: 161/6 والنشر: 274/1.

([18]) الكتاب: 472/4 و انظر الخصائص لابن جني: 139،140/2 والنشر:174/1 والتبصرة لمكي 350، 351 والكشف: 143/1 وفي الكتاب أيضا104/4 ينسب سيبويه إلى الخليل قوله: "يقال

أدغمت الفرس اللجام أي أدخلته في فيه. و كل مدغم فلا بد أن يسكن قبل الإدغام، وكل مدغم فيه فلا يكون إلا متحركا لئلا يجتمع ساكنان"

([19]) المفصل في علم العربية: 393.

([20]) الكشف: 134/1.و انظر هذا الموضوع مفصلا في: الإدغام عند علماء العربية في ضوء البحث اللغوي الحديث:أد.عبد الله بوخلخال.

([21]) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مطبعة الأنجلو مصرية، ط 6،1981: ص 187.

([22]) الإدغام الكبير هو مذهب أبي عمرو و من رواتي الدوري و السوسي. ومعظم كتب القراءات كالتبصرة: ص353 والكشف: 144/1، والنشر: 3/2 وإتحاف فضلاء البشر: ص 30 وما بعدها والتذكرة: ص 29(الهامش)، وساج القارئ المبتدئ: ص 33. "يرى أصحابها أنّ التماثل بين حرفين هو أن يتحدا مخرجا و صفة. و التجانس هو أن يتفقا مخرجا ويختلفا صفة والتقارب هو أن يتقاربا مخرجا أو أن يتقاربا مخرجا أو صفة أو مخرجا أو صفة.

([23]) النشر:2/2.

([24]) سمير شريف إستيتية القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللّغوية، منهج لساني معاصر: ص 302–324.

([25]) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي:189/1.

([26]))سراج القارئ المبتدئ و تذكار المقرئ المنتهي(شرح منظومة حرز الأماني و وجه التهاني للشاطبي): أبو القاسم بن القاصح، مراجعة عليّ محمد الضباع، دار الفكر، طبعة 1401–1981 م: ص 102،103.

([27]) لسان العرب: مادة (ميل): 636/11.

([28]) الكتاب : 259/2.

([29]) المقتضب: 42/3.

([30]) النشر في القراءات العشر: 30/1.

([31]) المرجع نفســه :30/1.

([32]) في الكشف:168/1 " إن أصل الكلام كله الفتح و الإمالة تدخل في بعضه،ف بعض اللغات لعلة".

([33]) المرجع نفسه: 168/1 ، و قد نسب ابن الجزري ذلك إلى أبي عمرو و الداني إلا أنني لم أجده في التيسير.

([34]) المرجع نفسه: 168/1.

([35]) بتتبّع دقيق لقراءة عاصم استطاع الدكتور شلبي أن يصل إلى نتيجة لها ما يدعمها، و هي أنّ عاصما كان من المكثرين من الإمالة كثرة غامرة. انظر : الإمالة ف القراءات القرآنية و اللهجات العربية، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي،دار الشروق :ص 152،154.

([36]) شرح حرز الأماني للجعبري ورقة 120، مخطوط دبار الكتب برقم 612 قراءات، نقلا عن "الإمالة في القراءات القرآنية واللّهجات العربية": ص 154.

([37]) الموضح ورقة: 57، نقلا عن الإمالة في القراءات القرآنية و اللهجات العربية: ص 152.

([38]) سورة مريم:1.

([39]) المبهج في القراءات السّبع المتمّمة بابن محيص والأعمش ويعقوب وخلف:سبط الخياط: 224/1.

([40]) الكشف : 186/1.

([41]) النشر: 30/2–32. وانظر الإمالة في القراءات واللهجات: للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي: ص 86.

([42]) منار الهدى في بيان الوقف والابتداء: أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشموني، طبعة مصطفى بابي الحلبي، مصر، 1393 هـ– 1973 م : ص 8.

([43]) النشر في القراءات العشر: 240/1.

([44]) المرجع نفسه : 240/1.

([45]) الإتحاف: 100، و انظر شرح طيبة النشر في القراءات العشر: شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد ابن الجزري، ضبط أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418 هـ 1997م : ص141.

([46]) النشر في القراءات العشر: 120،121/2، و122: و فيه شرح مفصل لكل هذه المصطلحات، ومن ذلك: "الإشمام: ضم الشفتين بعد الإسكان في المرفوع و المضموم و هو الإشارة للحركة من غير صوت، والروم: النطق ببعض الحركة وإضعاف الصوت بالحركة حتى نذهب معظم صوتها وهو عند النحاة عبارة النطق بالحركة بصوت خفي". وفي الكنز والقراءات العشر لابن الوجيه: ص99: "الروم هو إضعاف حركة الحرف الموقوف عليه، وإبقاء صوت خفي يدرك بحاسة السمع، والإشمام هو: ضمّ الشفتين بعد إسكان الحرف الموقوف عليه من غير صوت يدركه البصير دون الأعمى".

([47]) التيسير:54.

([48]) النشر في القراءات العشر:226/1 إلى 229.

([49]) المحرّر الوجيز لابن عطية الغرناطي: 386/2.

([50]) سمير شريف إستيتية القراءات القرآنية، بين العربية و الأصوات اللغوية، منهج لساني معاصر: ص 324.

([51]) المحتسب: 111/1.

([52]) اللهجات العربية في القراءات القرآنية : عبده الرّاجحي، دار المعرفة الجامعية للنشر والطبع والتوزيع، د ت. ك ص 162.

([53]) سمير شريف إستيتنية القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللّغوية ، منهج لساني معاصر: ص 304 وما بعدها.

([54]) المرجع نفسه.

([55]) المحرّر الوجيز: ابن عطية الغرناطي:181/1.

([56]) المحرر الوجيز: 412/2.

([57]) المحرر الوجيز: 444/2.

([58]) المحرر الوجيز: 510/2.

([59]) ابن خالويه: 17.

([60]) المحتسب: 209/2.

([61]) القراءات القرآنية وأثرها في الدراسات النّحوية: عبد العال سالم مكرم: ص123 وانظر كذلك اللهجات العربية: إبراهيم أنيس: ص135.

([62]) المحرّر الوجيز: 205/1.